الصّيغة الصّرفية في ديوان الشّاعر أبي مدين بن سهلة

The Morphological Formula in the Poet Abi Madien Ben Sahla Divan

د. لخضر قدور قطاوي، جامعة الشلف، الجزائر.

ملخّـص

اللسان الجزائري الدارج حقل خصب للدراسة اللغوية التي لها صلة بالعربية الفصحى ذلك أن نسبة كبيرة من وحداته الصوتية والمفرداتية والتركيبية نابعة من العربية الفصحى، وما يحدث فيها من تغيير أحيانا هو نفسه الذي يحدث في صيغ الكلمات العربية، ومن هذا المنطلق جاء عنوان بحثنا الموسوم بـ: الصيغة الصرفية في ديوان الشاعر أبي مدين بن سهلة.

فقمنا بتديم موجز عن حياة الشاعر ثم شرعنا في موضوع البحث فتناولنا دراسة الصيغ الصرفية بنوعيها الحدثية والذاتية، ومثال الأولي الفعل وما كان فيه رائحة الفعل، كالمصدر واسم الفاعل واسم المفعول، كما أخذنا نماذج من الصيغ الصرفية الذاتية التي تخص الأسماء.

وسعينا إلي تحليل تلك الصيغ بهدف الكشف عن الانتماء العربي فيها معتمدين عل ما قرره علماء العربية وما جوزوه في حالات الضرورة عند الشعراء.

وتوصلنا إلي أن اللهجة الجزائرية الدارجة تملك من الخفة في وظائفها التواصلية ما عرفته العربية الفصيحة، بل كثير من فصيح اللغة، وتطورات الصوت العربي، وما أقره النحاة القدماء في مصنفاتهم، والقراء في القراءات القرآنية نلمسه بوضوح في لغة ديوان أبي مدين بن سهلة، وغيره من شعراء الشعر الملحون في الجزائر.

كما بتن البحث ظاهرة الاقتصاد في نطق أصوات اللغة العربية خصوصا مع الهمزة في الصيغة الحدثية والذاتية، وحاولنا قدر المستطاع الربط بتن ما سلكه الشاعر أبي مدين بن سهلة في تسهيله لنطق الهمزة وبتن القواعد التي تعرض لها علماء اللغة العربية وعلماء القراءات القرآنية.

الكلمات المفتاحية: صرف، ديوان، صيغة، أبي مدين، حدث، ذات.

Abstract

The Algerian dialect is a large field in language study that has a relation with the mother tongue that a high percentage of its phonetics, vocabulary and synthetic unit come from the mother tongue.

Sometimes, the change that happens is the same in Arabic words formula and from this point came the study entitled **The Morphological Formula in Divan of the Poet Abi Madien Ben Sahla.**

We start with a short biography of the poet. Then, we move to the topic when we take up the study of the morphological formula with its two types the modern and self. The former example is the verb and its resemblance as nouns, noun subject and noun object. As such, we take samples of self-morphological formula that belongs to names.

We sought to analyse the formulas in order to discover the Arabic affiliation relied on what the Arabic scientists decided and permitted in the necessary cases among the poets.

We find that the Algerian dialect has light communicative functions as the mother tongue and more in the Arabic phonetics development. We clearly notice what ancient sculptures decided in their binders and readers of Coran readings in the divan of Ibn Madien Ben Sahla and other poets of solecistic poetry in Algeria.

The study shows the phenomenon of assimilation in Arabic sounds pronunciations especially with the glottal stop (Hamza) in the modern and self-formula. We try as possible as we can to relate between what Abi Madien Ben Sahla did to clarify the pronunciation of the glottal stop (Hamza) and the rules that Arab scientists and scientists of Coran readings decided.

Keywords: Morphology, Divan, formula, Abi Madien, event, self.

سيتناول هذا البحث الصيغة الصّرفية في ديوان الشاعر أبي مدين بن سهلة التلمساني أحد فحول الشعر الملحون في الجزائر إبان العهد التركي، وقد رأيت أن هذا الديوان بحاجة إلى استثماره في الدراسة الصرفية لكونه يطفح بالصيغ الصرفية التي أبقاها الشاعر على أصالتها الفصيحة، وما غيره منها في كثير من مواطن قصائده الذي كان من باب ضرائر الشعر التي مارسها شعراء العربية قبله منذ قرون، وبالأخص تعامله مع صوت الهمزة حين تسبق بحرف الألف الذي يمثل امتداد الصوت لمقدار حركتين، وعند قراء القرآن يقدر بست حركات بقراءة ورش عن نافع، وعند بعضهم يقدر بأربع حركات.

إن الدراسة الصرفية لديوان أبي مدين بن سهلة ستسهم في معالجة اللهجة الجزائرية وذلك من خلال الوقوف على الألفاظ التي خرجت قليلا عن تراكيب اللغة العربية الفصيحة ولكنها بقيت محافظة على صورة الانتماء اللغوي من خلال محافظتها على الأهم من أصوات العربية المحيطة باللفظة التي تعد من دارج اللغة.

وقبل الخوض في هذا البحث نود أن نعرف بإيجاز الشاعر ونقدم معلومات عن ديوانه، فمن هو أبي مدين بن سهلة؟

هو أبو مدين بن محمد بن سهلة الثالث شاعر تلمساني من فحول الحوزي المشهورين، ولد في نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، أي: في نهاية العهد التركي بالجزائر يقول د. شعيب مقنونيف نقلا عن محمد بن عمرو الطمار: «وهي المرحلة التي اشتهر فيها شعراء» غزليون تغنى بشعرهم أهل الطرب، منهم: محمد بن مسايب، وابن اسماعيل، وابنه جدي، أحمد التريكي، وابن سهلة، وسعيد عبد الله المنداسي، ومبارك أبو الأطباق، وابن غنبازة، وكلهم عاشوا بتلمسان وتوغلوا بها، فقد تغنوا بجمال الجنس اللطيف، ومدحوا تلمسان وصلاحها والنبي . صلى الله عليه وسلم.»[1]

وقد ولد الشاعر أبي مدين بن سهلة بتلمسان في درب (بْنِيْ جَمْلَهْ) الذي ذكره في قصيدة (يا ضو اعياني) كما أورد ذلك د. شعيب مقنونيف.[2] يقول أبو مدين بن سهلة:[3]

يَاكَحْلْ النَّجْلَة طِرْفِي الامْزَانْ تَعْلَا ❖ لَاهْلِ بني جمله يَحَفْظَلَكْ مَوْلَانَا الرَّحْمَنْ

مَنْ دَرْبْ الغـــــــــــــَفْلَا ❖ وَالْحْسُودْ وَاجْمِيـــــــــــــع الرُّقْبَانْ

ويضيف د. شعيب مقنونيف قوله:» ويقع هذا الدرب بالقرب من (سقاية السبع) وهو حوض مستدير بماء يخرج من أفواه الأسود، وهذا الحوض كان موجودا بقرب الساحة المعروفة اليوم بساحة الشهداء. ونشأ بحارة (باب زير) حيث كانت تقيم

أسرته.»[4]

اشتغل في بداية حياة الصبا والشباب نساجا وفي الوقت نفسه ينظم الشعر الملحون وينشده فيسمع منه رواته قصائده التي تنتشر في مجالس اللهو والمقاهي والخاصة والعامة، دون أن يهمل حرفة النساجة التي يقتات من دخلها.

نفي الشاعر ابن سهلة إلى مدينة وهران بسبب شكوى رفعها أهالي تلمسان إلى الحاكم لكونه كان يكثر التغزل بنساء مختلف الطبقات، وقيل إلى مدينة وجدة بالمغرب الأقصى. مدة سنة كاملة، وفي دار المنفى والبعد عن الأحبة مراتع الصّبوة والصِّبا ونسيم الصَّبا جادت قريحته بأطول قصيدة في ديوانه (يا ضو اعياني).

والحكم بالنفى على الشاعر المتغزل بنساء الطبقات الاجتماعية المختلفة لم يمس في تلمسان ابن سهلة وحده فقد نفي قبله الشاعر أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مسايب الذي يعد. مطلقا. من أشهر شعراء الحوزي بتلمسان، والذي تعلق بفتاة تدعى عائشة، وقد قيل إنها بنت معلمه، فهام بها قلبه وجرت في واد حبها مشاعره تموج بقصائد هي وجنة الشعر الحوزي في جبين تلمسان، مما جعل صيته يذيع ويجلب له الهموم والتّنغيص فينفى إلى مدينة مكناس بالمغرب الأقصى، ولكن أيام محنته انقلبت إلى سعادة إذ أحاطته رعاية السلطان مولاي إسماعيل وأبنائه بالكرم. ثم تأتي الأيام بالصلح بينه وبين السلطة التركية الحاكمة بتلمسان فيعود، ويعلن توبته ويحج، ليتحول إلى شاعر يختص في غالب شاعره بمدح النبي. صلى الله عليه وسلم. ويحسب عند العامة من الأولياء وقبره يزار اليوم.[5]

وقد عفا الباي عن ابن سهلة فرجع إلى تلمسان واستقر به المقام بناحية (فدّان السَّبَعْ) إلا أنه لم يغير وجهة أشواقه مثل ابن المسايب بل» ظل ينظم شعر الغزل متفننا في وصف الحبيب، ومجالس اللهو والطرب، وذكر آلام الفراق والهجران.»[6]

وفاة أبي مدين بن سهلة:

توفي الشاعر أبي مدين بن سهلة في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن التاسع عشر الميلادي ودفن مثل ابن المسيب بالقرب من قبر الشيخ السنوسي بتلمسان.[7]

ديوان الشاعر أبي مدين بن سهلة:

يعود الفضل في ظهور هذا الديوان إلى الدكتور شعيب مقنونيف الذي ساهم في جمع وتحقيق وضبط شعر أبي مدين بن سهلة، وقد طبع الديوان في طبعته الأولى

2001 . 2002 ثم الثانية بتاريخ الإيداع في 2007 من قبل دار الغرب للنشر والتوزيع. ويحتوي الديوان على اثنتين و ثلاثين قصيدة بداية بقصيدة (يا ضو اعياني)، وختاما بقصيدة (ضاق أمري ياربي عالم الخفية).[8] ش. و . ن. ت، الجزائر، ط1 ، 1982ص: 389.

والآن نشرع في صميم موضوعنا وهو الصيغة الصرفية في ديوان أبي مدين بن سهلة، وقد رأيت تقسيم العمل إلى مبحثين وفق ما يأتي: الصيغة الحدثية (الفعل) والصيغة الذاتية (الأسماء الجامدة)، وذلك لأن التصريف يمس الأفعال والأسماء ولا تتأثر به الحروف.

الصيغة الحدثية في ديوان أبي مدين بن سهلة:

الصيغة الحدثية، أي: الفعل وما كان فيه رائحته مما له صلة بالحدث، كالمصدر، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصّفة المشبّهة، وباقي المشتقات التي تعمل عمل الفعل. علما بأننا سنركز على صيغة الفعل في الغالب، وصيغته تتنوع وتوظف توظيفا دلاليا حسب ما يسمح به سياق النص الشعري، وهي أحيانا تبقى محافظة على شكلها الفصيح وميزانها الذي نألفه في المدونات الصرفية التي تتخذ العربية الفصيحة ميدانا لها، وأحيانا أخرى تتمرد بلطف من هيئة الفصيح لتصبح لهجة خاصة بإقليم دون آخر ولكنها في عمومها هي لهجة جزائرية تستمد وجدوها في الغالب من اللغة العربية والأمازيغية والوافد عليها من لغات الأمم الأخرى بسبب الحروب والتجارة والاحتكاك الحضاري. والشعر الملحون يزدهر عموما في إقليمه خصوصا؛ لأنه موطن إدراك العامة له في ذلك الإقليم. يقول الشّيخ البشير الإبراهيمي: «والشعر العامي يختلف عن الشّعر العربي الفصيح في شيء، وهو أنه إقليمي يقصر فهمه إلا على ذلك الإقليم لاشتراك شعرائه في المدارك والتصورات الخاصة بهم، فإذا نقل إلى إقليم آخر، وخفيت مراميه على أهله عزّ ذكره، فمثلا شعر الشعراء الملحون في إقليم وهران من القطر الجزائري لا يستسيغه أهل إقليم قسنطينة من القطر الجزائري أيضا، وهو مباين للشعر العامي في الإقليم القسنطيني، مباين له في أوزانه، وفي مطالعه، وفي العمود الشعري، وفي المعاني، والتخيلات.»[9]

وهذه الإقليمية التي تعد خصيصة من خصائص الشعر الملحون . بناء على أنه مرتبط باللهجة . التي صرّح بها الشيخ البشير الإبراهيمي، وهو ما تعرض له عبد الجليل مرتاض بشكل أوضح وأعمق إذ يقول في حديثه عن الإشكال الفضائي بين اللغة واللهجة:»سوى أنّه من الجانب اللهجي، في مكان ضيق، نستطيع خلال فترة معينة آنية،

أو تاريخية أن نعرف منطقة جغرافية لهجية، أي: أن الإشكالية المنهجية تكمن في تحديد (limitation) وتعيين حدود أرض (Délimitation) حيث يكون الفضاء اللهجي في الأولى أرحب، وفي الثانية يكون محصورا بحدود، أو بحر، أو حرمة أرض شعب أو قبيلة.[10]

فقد عالج الشّيخ البشير الإبراهيمي إشكالية التواصل باللهجة بين المتلقي والمرسل في مدونات الشعر الملحون من المنظور الثاني وهو تعيين حدود أرض كما صرح به د. عبد الجليل مرتاض، وأضاف مقياسا آخرا للهجة يرتبط بالزمن والتاريخ.

وكذلك الشأن بالنسبة للصيغ الصّرفية فإنّها تتغيّر من إقليم إلى آخر ألا ترى أن من جاور المغرب الأقصى ينطقون الفعل (جاء) في الأمر منه أَجِي، وفي نواحي الشلف وغيرها يعوض بـ: اَرْوَاحْ، وكأنّه من الرَّوَاح وهو الرُّجوع، ومنه حديث الرَّسول. صلى الله عليه وسلم: «لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا.»

ومن التغيير الذي يصيب الصّيغة الصرفية الحدثية تغير صائت العين فالفعل (جَمَّلَ) في العربية الفصحى يكون بكسر العين المشددة في الأمر منه (جَمِّلْ)، ولكن عند أبي مدين بن سهلة يبقى على أصله في الماضي، ولا يزال مستعملا في اللهجة الجزائرية إلى يومنا هذا. نحو: كَوَّرْ، وعوَّجْ، سلَّمْ، فقد مال اللسان الجزائري إلى صائت الفتح لأنه أخف من الكسر، وهذا معروف في العربية الفصحى ألا ترى أن المنصوبات عند العرب هي أكثر في كلامهم من المرفوعات والمجرورات، فأنت ترى هنا تمردا ولكنه مبرر كأنه انفصال عن أسرة بالتراضي لتكوين أسرة وبيت جديد. يقول الشاعر أبي مدين بن سهلة.[11]

يَا ضَوْ اعْيَاني يا القُمْرِي زَرْقْ الجَنْحَانْ ❖ جَمَّلْ وَاسْعَانِي وَاحَدْ لَا تَقْرَا فِيهْ أَمَانْ
كُونَكْ سِيسَانِي اوْ سَلَّمْ عْلَى نَاسْ تْلَمْسَانْ

ومنه تسكين لام الفعل في إسناده إلى ضمير الغائب (جَرَّعْنِي) بدلا من جرَّعَني بفتح لامه كما في فصيح اللغة:[12]

ويلاحظ هنا تغيرين أصابا الصّيغة الحدثية؛ الأول منهما تسكين عين الفعل في شَرْبُو، والثّاني ضم لام الفعل في زمن الماضي (شَرْبُو) وكأن إشباع حركة الضم في لام الفعل دلت على المفعول به الذي هو ضمير الغائب المتصل بالفعل في فصيح اللغة، أي: ما شَرِبَهُ، ودليلنا أننا في تصريف الفعل شرب حسب اللهجة الجزائرية نقول:

أنا شْـــرَبْتُو
أنت شْرَبْتيه

فيظهر ضمير المفعولية مع المخاطبة لما تركنا ضم لام الفعل، وهكذا يظهر بوضوح مع إسناد الفعل للجمع المتكلم نحو قولك:

اَحْنَا اَشْرَبْناَهْ

أما مع الجمع الغائب فيجتمع ضم لام الفعل والضمير نحو: شَـرْبُوهْ، فترى وزنها على (فَعْلُوهْ) بحيث لا يوجد إلا تغيير حركة عين الفعل من الكسر إلى السكون، وكأنّه فرار من توالي ثلاث حركات في النطق فالفعل شربوه متعديا إلى ضمير الغائب في الفصيح يكون بالتقطيع على النحو التالي: 00 lll مع تسكين هاء الضمير في الوقف، وفي الدارج يصبح بهذا التقطيع 00l0l، فترى كيف تمّ التخلص من نطق ثلاث حركات متوالية، ومعروف في العربية كراهية توالي الأمثال، وإن كانت هنا حركات مختلفات، ولكنها تبقى حركات.

قد تصاب الصيغة الصرفية الحدثية عند الشاعر أبي مدين بن سهلة . والذنب ليس ذنبه . بل هي لهجة بني وطنه . بتغيير فاحش يمس عدة أصول البنية نحو الفعل الخماسي اشتهى، حين يسنده لضمير المتكلم فيقول:[13]

وَاعْمَلْ اجْمِيعْ مَا اشْتِهِيتْ ❖ وَاطْلَبْتْ اللهْ فَالصْبَرْ

فاشتهى على وزن (افتعل) وبإسناده إلى ضمير المتكلم وتعديه لضمير المفعولية يصير إلى صورة (اشتهيته) على وزن (افتعلته) ولكن حسب لهجة الجزائريين فيكتفي الشاعر بنطق الفعل ويحذف الضمير، وعند بعض الجزائريين . كما هو عندنا في شلف . يحذف الضمير مع دلالة الضم عليه نحو: اشتهيتو، وفي وهران وماجاورها يثبت هذا الضمير نحو: اَشْتْهِيتَهْ.

كما يلاحظ أنّ كسر تاء (افتعل) ، وعينها (الهاء) مع المد بدلا من تسكينها بعد فتح كما هو في الفصيح وكل هذا الذي يحدث في اللهجة الجزائرية هو هروب نحو الأخف في النطق.

ومن تسكين عين الفعل قول أبي مدين بن سهلة:[14]

خَطْفَتْ عَقْلِي يا الْلطِيفْ ❖ لمَّا ريت السّاق الظْرِيفْ

فالفعل خَطَفَ كما هو معروف في العربية الفصيحة مفتوح العين، ولكن اللهجة الجزائرية تجعل العين منه ساكنة وقد عللناه بأنه هروب نحو التخفيف بالابتعاد عن نطق ثلاث حـــركات متواليات.

تخفيف الصيغة الحدثية بالعودة إلى الأصل وترك الهمز:

يلجأ الشاعر أبو مدين بن سهلة إلى ترك الهمز فيحذف عين الفعل مثلما نلفيه في تعامله مع الفعل رأى، فلا يقول: رأيت بل: رِيتْ كما جاء في قوله:[15]

رِيتَ الْمْعْصَمْ والزّْنُودْ

فنجده أبقى الياء وحذف الهمزة ، وتميم تفعل هذا بخلاف لغة الحجاز التي تستخدم الهمز كم جاء في قراءة فأكله الذيب وهذا وإن كان في الصيغة الذاتية ففيه إشارة مما نحن فيه ألا ترى أنّ الهمزة هنا قد نابت عنها الياء، والذيب لغة في الذئب، ويعود إلى هذا الأصل مرة أخرى في قوله:[16]

خَطْفَتْ عَقْلِي يا الْلطِيفْ ❖ لمَّا ريت السّاق الظّْرِيفْ

وكذلك حذفه الهمزة من الفعل أراني فخففها إلى راني في قوله:[17]

مَنْ اغْرَامَكْ رَانِي فَانِي اعْلِيلْ مَسْبي ❖ لُوكَانْ مت بشوقك روحي اتحاسبك

والصيغة الحدثية (مَتْ) حدث فيها أيضا تغيير بالحذف؛ فقد حذف الشاعر الحرف المدغم وأبقى على المدغم فيه ساكنا في الوقف. كما غير حركة فاء الفعل من الكسر إلى الفتح؛ لأنه الأخف في اللسان.

تخفيف الهمزة الأصلية في مضارع الفعل أتى:

يخفف الشاعر أبي مدين بن سهلة همزة الفعل المضارع أتى في قوله:[18]

هَكْذَاكْ حتّى اَنا اَتْمَنّيتْ نَسْتَبْشَرْ ❖ بَاَلْغزْلَ يَاتيني وانْرَى اَضْيَا بَصْرُو

فقد خفف الهمزة وهي هنا أصلية، وتخفيفها لغة عربية قحّة وقد قرأ بتخفيف الهمزة ورش في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، وعلّة التخفيف ثقل الهمزة، والتخفيف لغة أهل الحجاز، وهو أخف على القارئ من الهمز[19] وفي هذا الشأن يقول السّخاوي في حديثه عما يعرف المتعلم الهمزة التي هي فاء الفعل: «والثالث: أن ما كان منه بعد حروف المضارعة فهو فاء الفعل، وحروف المضارة يجمعها قولك: نأيت نحو: نأتي الأرض، ويأتي، ويأتون، واعلم أنّ تخفيف الهمزة لغة أهل الحجاز، والموجب له طلب الخفّة، وهذه الهمزة أولى بالتخفيف من المتحرّكة؛ لأنّ السكون زادها ثقلا من أجل أنه أمسكها عن الخروج بسرعة، وإنّما اختصّ ورش فاء الفعل؛ لأنّ من أصله تسهيل الهمزة المبتدأة بنقل حركتها فلما كانت التي هي فاء الفعل في حكم المبتدأة أجرى الساكنة ها هنا مجرى المتحركة.»[20]

فقد مثل السخاوي بالفعل أتى الذي تدخل عليه حروف المضارعة، وتكون الهمزة

أصلية وهي فاء الفعل، وخففها ورش، وهذا ما وجدناه عند الشاعر أبي مدين بن سهلة في الفعل (ياتيني) في البيت السالف الذكر. في اللهجة الجزائرية التي بقيت محافظة على طبيعتها الأصلية الوافدة إلى القطر الجزائري من الحجاز.

بقاء الصيغة الصرفية الحدثية على هيئتها في اللغة الفصحى:

نجد في ديوان الشاعر أبي مدين بن سهلة بعض الصيغ الحدثية باقية على ما هي عليه في أبنيتها الفصيحة لم يصبها أي تغيير، وتعليلنا أنها كانت خفيفة في النطق فلا يوجد فيها حركات متواليات مثل الفعل قام المسند لضمير الغائبة، والفعل فات المسند لضمير الغائب العائد على زهو الليل في قوله:[21]

قامت اِيمامَ الْبْناتْ ❖ دا الليل بزهاوي راهْ فاتْ

والأمر نفسه مع الفعل قالت في قوله:[22]

قَالَتْ انْجَدْدُوا المْدَامْ ❖ حَاضي جُهْدِي اعْلَى الجْمَرْ

وهكذا مع كل فعل معتل أجوف نجد الشاعر يستخدمه كما هو في الفصيح مثل الفعل بان ولاح في قوله:[23]

اَغْصَبْنَا الْفْجَرْبانْ لَاحْ ❖ وَاشْتْهَرْ اَعْلاَمْ اَلصّْباحْ

الصيغة الحدثية مع المضارع:

إذا انتقلنا إلى الصيغة الحدثية الاستقبالية في ديوان أبي مدين بن سهلة فإنّ الاقتصاد الصّوتي يصاحبنا من خلال تخفيف الهمزة أيضا وذلك في قوله:[24]

هَيْهَاتْ نَارِي تَنْطْفَى ❖ فَاجْوَارْحِي تَلْهَبْ

فصيغة (تَنْطْفَى) أصلها في الفصحى تَنْطَفِئُ من انطفأ على وزن (افتعل) لكن الشكل هنا في اللهجة الجزائرية يتغير إذ نلا حظ وقفتين صوتيتين وهما سكون النون والطاء، والسكون توقف عن الحركة، والتوقف عن الحركة فيه ادّخار الطاقة، ولذا يعد هنا من الاقتصاد في الكلام والتّواصل.

صيغة اسم الفاعل في ديوان أبي مدين بن سهلة:

ومن الصيغ الحدثية صيغة اسم الفاعل؛ وذلك لأنّ اسم الفاعل اشتق من المصدر لمن قام به الفعل، بمعنى الحدوث كم عرفه الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش.[25] ومما ورد من صيغه التي على وزن (فاعل) كلمة الصايم، أي: الصائم في قوله:[26]

رَانِي نَرْجَاكْ كِيفْ يَرْجَى الصّايَمْ ❖ فِي اَهْلاَلْ اَلْعِيدْ يَنْتَشَرْبَعْدَ اَغيامو
بِهْ يَزْهَى اَلصّايَمْ اَوْيهنا في اَرْسَامُو

وللاقتصاد الصّوتي وظّف الشاعر في اسم الفاعل الصّايم الأصل فاستخدم الياء التي في الصيام عوضا عن قلبها همزة لما في ذلك من عسر. ونلاحظ تكرار هذه الأريحية الصوتية المائلة إلى الخفة في التواصل مع لفظة الصايم.[27]
وكذلك مع لفظة (طَايَحْ) في قوله:[28]

سَالَفْ طَايَحْ اَعْلَى اَلْحْزَامْ

الصيغة الصرفية الذاتية في ديوان أبي مدين بن سهلة:

إن الحديث عن الصيغ الصرفية الذاتية في ديوان أبي مدين بن سهلة سيطول بنا ولذا فإننا نقتصر على نماذج في ديوانه، والملاحظ في عمومها هو كثرة استخدام حركة السكون في فاء الصيغة وفي النهاية مثل كلمة الْفْجَرْ التي مضى ذكرها في البيت السابق التي تصير من وزن(الفَعَلْ) إلى وزن (الْفْعَلْ) ومثل هذا كلمة (الْنْظَرْ) في قوله:[28]

فِيَا اتْمَتَّعْ الْنْظَرْ

وهذا الحكم خاص بالصّيغ الثلاثية مثل الجمر، والوكر،والسفر، وغيرها كثيرة في ديوانه يمكن الوقوف على مواطنها.

حذف الهمزة الأصلية المبتدإ بها في الكلمة مثل: (ميرة) عوضا عن (أميرة) في قوله:[29]

مَنْ نَهْوَى مِيرَةْ الْبْنَاتْ ❖ مَنْ بَعْدَ اَوْصَالْهَا اَجْفَاتْ

ويكرر تسهيل نطق همزة أميرة مع ألف ياء النداء في قوله:[30]

شُوقْ لَمْحَكْ فِي اَكْدَارِي شَاعُو اَخْبَارِي ❖ اَوْلاَ اَكْتَمْتَ اَسْرَارِي يَا مِيرَةَ اَلْبْدُورْ

وقد تذهب ببعضنا الظنون إلى أننا أفسدنا اللغة العربية بهذه اللهجة فكيف يحذف الشاعر هنا حرفا أصليا هو فاء الكلمة، ويحول كلمة أميرة إلى ميرة؟ وما هو إلا وهم جاءنا من تقصيرنا في فهم هذه اللهجة التي حبا بها الله تعالى الجزائر والجزائريين، ولازالت تحتفظ بعربيتها التي نجدها في كتاب سيبويه إذ يقول في تسهيل نطق همزة أمره في قولهم اتبعوا أمره: «وكذلك سمعنا العرب الذين يخففون يقولون: اتّبَعُوَمْرَهُ؛ لأنّ هذه الواو ليست بمدّة زائدة في حرف الهمزة منه، فصارت بمنزلة واو يدعو.»[31]

فما مراد سيبويه في حديثه عن الواو الضّميرية المتصلة بالفعل اتبع؟ لقد

عدت إلى شراح الكتاب ومنهم السيرافي الذي قال: «يريد لم تكن واو(اتبعومره) مدّة لغير معنى مع الهمزة في كلمة واحدة»[33] وقد بين السيرافي هذا المعنى وهو إلقاء حركة همزة أمره عليها،أي: الواو.[34]

ولكن تبقى هنا ملاحظة قد تحسب علينا وهي أن الهمزة فيما ذكره سيبويه إنما كانت بعد واو شبيهة بالمدّ وكذلك الشأن عندهم مع الياء في قولهم (اتبعيَ مره) حيث تلقى حركة الهمزة على الياء، وهذا لا يستقيم مع الألف في قول أبي مدين بن سهلة (نَهْوَى مِيرَةْ) فالجواب عن ذلك أن نقول: لعل اللسان الجزائري حذف الألف ونقل حركة الهمزة إلى الواو، فوجد حركتها من جنس ما أراد نقله فاكتفي بواحدة وهي الأصلية مساعفة للنّطق.

والوجه الثاني أنّ الألف بمنزلة الهمزة فلما التقى همزتان وكانت الثانية مفتوحة احتفظ بالألف لأنها مدّ وسهل الهمزة الثانية. وهذا الحكم ثابت لها في الكلمة الواحدة فيقاس عليه ما ورد من كلمتين، وقد تعرّض له الأعلم الشّنتمري في قوله: «وإن كان ما قبلها ألفا جعلتها بين بين، ولم تقلبها ألفا كما قلبتها واوا وياء؛ لأنّه لا تجتمع ألفان؛ ولأنّ الألف لا تدغم في الألف كقولك: سأل: سال في التساؤل: التّساول.»[35]

ومراده من التّسهيل في سال أن الأصل فيه ما جاء على ما يفيد المشاركة على وزن فاعل، أي: ساءل، ودليل ذلك ما مثل به من المصدر. وهو ما جاء أصل المخطوط به.[36]

والحاصل أنّ تخفيف الهمز في اللهجة الجزائرية له مبرراته العلمية وما يسمح به تطور آداء الأصوات العربية، كما أننا .على جهد المقل .حاولنا أن نعلل الأداء الصوتي في نماذج من الصيغ الذاتية وفقا لقواعد القرّاء التي تعد من أحكم القواعد الصوتية لارتباطها بآداء تلاوة القرآن الكريم. فهذا مكي بن أبي طالب القيسي يقول عن تخفيف الهمزة: «وحجة من خفف الهمزة أنّه استثقلها محققة فخففها على ما قدّمن من العلل، وأيضا فإنّ التخفيف لغة أهل الحجاز، وأيضا فإنّ التخفيف أخف على القارئ، مع موافقة لغة العرب والرّواية.»[37] فهذا القول مما يعول عليه في صحة عربية اللهجة الجزائرية وقربها من فصاحة عرب الحجاز التي نزل القرآن الكريم بلسانهم.

وتسهيل هذه الهمزة المفتوحـــــة التي تأتي بعد الألف المقصورة يتكرر عند الشاعر في قوله:[38]

ما اَنْكْوَى حَدَّ اَبْنَارِي اَوْ لا اَحْمَلْ حَدْ اضْرَارِي ❖ حُبْ سَاكَنْ اَسْيَارِي يَقْسَمْ اَلصّْدُورْ

مما يدلنا على أنّ قانون الاقتصاد في التعامل مع الهمزة بطريقة تقنية تراعي

الاطراد الذي يسمح بوضع الظاهرة تحت مجهر الدراسة الصوتية.

أما الصيغ الذاتية الثلاثية التي عينها همزة فإنه يسهل همزتها مطلقا كما هو الحال في اللهجة الجزائرية وكما هو الشأن في لغة الحجاز، مثل كلمة الكأس، و الرأس. الأولى منهما في قوله:[39] **(كَاسْ)**

والثانية منهما في قوله:[40]

يَا وِيحِي رَاسِي شَابْ

فقد سهّل نطق الهمزة في الكأس والرأس. وغيرها كثير في ديوانه.

بقاء الصيغة الصرفية الذاتية على أصلها في ديوان أبي مدين بن سهلة:

كما سبق وأن بينا بقاء صيغ حدثية على أصلها في اللهجة الجزائرية على لسان الشاعر أبي مدين بن سهلة، فكذلك لا نعدم استخدامه للصيغ الذاتية تماما كما تستعمل في اللغة الفصيحة، ومن ذلك كلمة البستانة، والخانة، والجوهر، والغصن، والنّار، والجود، والساعة، والنور، والعهد، والبدر، والشمس، والعقل، وغيرها من الكلمات التي نقف عليها في الديوان ولم تتغير في بنائها من حيث الشكل والمضمون والميزان الصرفي.

ويبقى البحث في إشكالية الهمزة داخل الصيغ الصرفية الحدثية منها والذاتية مفتوحا يقول د. مكي درار: «الهمزة صوت أقصى حلقي شديد، وفي جهره وهمسه اختلاف بين علماء الأصوات؛ تعرض له الدارسون والباحثون، من قدماء ومحدثين، ولا يزالون لم يقولوا كلمتهم الأخيرة فيه، وتوقفوا عند وصفه بالعسر والغموض.»[41]

ونعتقد أن هذه الكلمة هي دعوة إلى البحث في ظاهرة الاقتصاد الصوتي؛ لأن النص يشير إلى ضبط خلاصة نتائج البحث العلمي التي سعى أصحابها إلى تقديم الحلول المنوطة بإشكالية الهمزة في المجال الصوتي والرسمي.

الخاتمـــــة:

في ختام هذا البحث الذي لا نزعم أننا أحطنا بجميع لأنماط الصيغ الحدثية والذاتية في ديوان أبي مدين بن سهلة، إلا أننا لم نخرج منه بخف حنين، فتعاملنا مع الدراسة هذا الديوان جعلتنا نؤمن بأنّ مادة الخام في اللهجة الجزائرية حافلة بأصالة اللغة العربية الفصيحة.

وهذه اللهجة تملك من الخفة في وظائفها التواصلية ما عرفته العربية

الفصيحة، بل كثير من فصيح اللغة، وتطورات الصوت العربي، وما أقره النحاة القدماء في مصنفاتهم، والقراء في القراءات القرآنية نلمسه بوضوح في لغة ديوان أبي مدين بن سهلة، وغيره من شعراء الشعر الملحون في الجزائر.

كما توصلنا في هذا البحث إلى ظاهرة الاقتصاد في نطق أصوات اللغة العربية خصوصا مع الهمزة في الصيغة الحدثية والذاتية، وحاولنا قدر المستطاع الربط بين ما سلكه الشاعر أبي مدين بن سهلة في تسهيله لنطق الهمزة وبين القواعد التي تعرض لها علماء اللغة العربية وعلماء القراءات القرآنية.

يمكن لهذا البحث أن يكون انطلاقة علمية لتأليف كتاب حول ظاهرة الاقتصاد الصوتي في اللهجة الجزائرية كما أشار به علينا أستاذنا الدكتور مكي درار.

الهوامـــــش:

(1) ديوان أبي مدين بن سهلة ص 30، وانظر تلمسان عبر العصور: دورها في سياسة وحضارة الجزائر لمحمد بن عمرو الطمار، م.و.ك: الجزائر ط1، 1984م .ص: 281.

(2) انظر: ديوان أبي مدين بن سهلة، ص: 31.

(3) انظر: المصدر السابـــــــق، ص: 79.

(4) المصدر السابـــــــــق، ص: 31.

(5) انظر: المصدر السابـــق، ص: 26 - 27.

(6) يراجع: المصدر السابق ص: 39، نقلا عن الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان لمحمد مرابط، تحقيق د. عبد الحميد حاجيات.

(7) المصدر السابـــــــق، ص: 42.

(8) انظر: ديوان أبي مديـــــــن بن سهلة، ش. و . ن. ت، الجزائر، ط1، 1982ص: 389.

(9) التراث الشعبي والشعـــــــــر الملحون في الجزائر، تحقيق عثمان سعدي، دار الأمة الجزائـــــــر، ط1، 2010، ص: 24 - 25.

(10) مقاربات أولية في علم اللهجات، ص: 71 .

(11) ديوانـــه، ص: 73.

(12) ديوانه، ص: 152.

(13) ديوانه، ص: 161.

(14)ديوانـه، ص: 163.

(15) ديوانه، ص: 163.

(16) ديوانه، ص: 163.

(17) ديوانه، ص: 149.

(18) ديوانه، ص: 128.

(19) ينظر حجة القراءات لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة من علماء القرن الرابع وبداية الخامس دراسة تحليلية، د. هشام سعيد محمود النعيمي. دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، ط1، 2005م.ص: 22 .

(20) فتح الوصيد في شرح القصيد ضمن شروح متن الشاطبية المسمى حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، دار ابن الجوزي، القاهرة . مصر، ط1، 2012م. ص: 416.

(21) ديوانه، ص: 164.

(22) ديوانه، ص: 164.

(23) ديوانه، ص: 164.

(24) ديوانه، ص: 158.

(25) الكافي في التصريف، تحقيق ودراسة، عائشة يطو، رسالة ماجستير، جامعة وهران، إشراف د.مختار بوعناني، السنة الجامعية 2001م . 2002 م. ص: 131.

(26) ديوانه، ص: 151.

(27) ديوانه، ص: 161.

(28) ديوانه، ص: 163.

(29) ديوانه، ص: 164.

(30) ديوانه، ص: 130.

(31) ديوانه، ص: 152.

(32) الكتاب، ج3، ص: 548.

(33) شرح كتاب سيبويه، تحقيق أحمد حسن مهدلي و علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط1، 2008م، ج4، ص: 284.

(34) انظر المصـــــدر السابق، ج4، ص: 284.

(35) النكت في تفسير كتاب سيبويه، دراسة وتحقيق رشيد بلحبيب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربيـــــــــــــة، ط1، 1999م، ج3، ص: 80.

(36) يراجع: هامش المحقق رشيد بلحبيب على النكت، ج3، ص: 80.

(37) الكشف عن وجه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرّسالـــة،بيروت . لبنان، ط5، 1997م، ج1، ص: 81.

(38) ديوانه، ص: 152.

(39) ديوانه، ص: 152.

(40) ديوانه، ص: 155.

(41) المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار أمّ الكتاب للنشر والتوزيع، بوقيراط، مستغانم. الجزائر، ط2014م، ص: 152.